

الشيخ محمد خير الدين وجهوده الإصلاحية

(1931 - 1954 م)

SHEIKH MUHAMMAD KHAIRUDDIN
AND HIS REFORM EFFORTS
(1931 - 1954 AD)

Dr. Hayet TABTI

الدكتورة: حياة تابتي

Univ. Of TLEMCENE

جامعة تلمسان

tabtihayet81@yahoo.fr

Accepted:	2019/11/17	قُبِلَ للنشر:	Received:	2018/04/13	استلم:
-----------	------------	---------------	-----------	------------	--------

ملخص:

عملت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ضمن الحركة الوطنية الجزائرية من أجل تحرير الوطن، لكن قيمة عمل الجمعية يتمثل في أنها نادى باليقظة والإصلاح من جهة، وإعداد جيل جديد يفهم الإسلام فهما صحيحا ويهتم بقضية التربية والتعليم، التي تمثل القاعدة الأساسية لا للتقدم فحسب وإنما للحياة الحرة الكريمة من جهة أخرى. كما ركز علماء الجمعية على الثقافة العربية والآداب الإسلامية بعد أن طغت فكرة الإدماج على كل مجالات الحياة في الجزائر، ولم يهتموا بالتعليم الديني واللغة العربية فقط، بل نادوا بتعليم كل العلوم وجميع اللغات الحية، أما النشاط التعليمي فيظهر من خلال إدراك الجمعية أهمية التربية والتعليم، ورغم الصعوبات التي واجهتها من قبل الإدارة الفرنسية إلا أنها واصلت جهودها في هذا المجال. ويعتبر الشيخ «محمد خير الدين» رائد من الرواد الأوائل، وعالم من علمائها المصلحين، وقد كان له دور بارز إلى جانب علماء الجمعية، فهو من المؤسسين الأوائل للجمعية مع الشيخ ابن باديس والشيخ الإبراهيمي وغيرهم.

الكلمات المفتاحية: محمد خير الدين؛ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ ابن باديس؛ البشير الإبراهيمي؛ الإصلاح؛ الإدارة الفرنسية.

Abstract :

The Association of Algerian Muslim Scholars has worked within Algerian national movement for the liberation of the country, but the value of the association's work is that it called for vigilance and reform on the one hand , and the preparation of a new generation that correctly understands Islam and cares about the issue of education and teaching, which is the basis for not only for progress ,but for a free and decent life in other hand.

Assotiation researchers also focused on Arabic culture and Islamic Literature after the idea of inclusion overshadowed all aspects of life in Algerian , and they were not only interested in religious education and the Arabic language, but also called for the teaching of all sciences and all living languages .As for the educational activity, it appears through the awareness of the association the importance of education and teaching, and despite the difficulties encountered by the French administration, it has continued its efforts in this area. Cheikh Mohammed kheir eddine is considered a pioneer among the first pioneers, and a scholar of reformed scholars .He played a leading role alongside the scholars of society, because he was one of the first founders of the association with Cheikh Ibrahimi and others.

Keywords : *Muhammad Khairuddin; Algerian Muslim Scholars Association; Ibn Badis; Al-Bashir Al-Ibrahim;i Reform; French administration*



مقدمة:

عرفت الجزائر تطورات كثيرة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، فقد شهدت الفترة الممتدة ما بين (1919-1931 م) يقظة غطت كل مظاهر الحياة: (اقتصاديا، اجتماعيا، سياسيا)، فمن الناحية الاقتصادية، هناك سيطرة الإدارة الفرنسية على كل مظاهر الاقتصاد الجزائري، ومن الناحية الدينية هناك نشاط إسلامي مكثف يظهر من خلال تأسيس المساجد والمدارس القرآنية... وغيرها رغم الصعوبات، ومن الناحية السياسية هناك ظهور عدة تيارات وطنية.

تعتبر فترة الثلاثينات من القرن العشرين، من أهم الفترات التي تطور فيها نشاط الحركة الوطنية الجزائرية، وازدادت ضغوطات الإدارة الفرنسية على الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها الأساسية، وفي هذه الفترة ظهر التيار الإصلاحي ممثلا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتي أقامت نشاطات تربوية وتعليمية هامة في مختلف أنحاء الجزائر، وتمكنت من المحافظة على اللغة العربية والإسلام، وأكدت على ضرورة حماية الوطن وتحريره. وهناك العديد من الشخصيات الذين ساهموا في الجمعية من أجل تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي، ومن بينهم «الشيخ محمد خير الدين» الذي ساهم مساهمة فعالة في المجال الإصلاحي ما بين (1931-1954م)، وهو أحد أقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبرز دوره من خلال عدة نشاطات هامة.

1- نبذة موجزة عن حياة الشيخ محمد خير الدين:

ولد «محمد خير الدين» في سنة 1902م بمنطقة فرفار في بسكرة، من أب يدعى خير الدين بن محمد أبي جملين، وأم هي الحاجة الزهراء بنت المغربي، ونشأ مع أربعة إخوة ولدوا بعده، وهم: (عبد القادر، إسماعيل، الحفناوي، عبد السلام)، واهتم والدهم بنشأتهم على التربية الدينية، وقد كان يأتي إلى منزلهم علماء كثر، مثل: «الشيخ العابد السماتي الجليلي» و«الشيخ أبو عبد الله الغمري»، وبهذا

أصبح نهج العلماء والمصلحين يترسم في ذهنه، حيث كان يسمع ويرى هؤلاء الشيوخ والعلماء داخل المنزل، كيف يتناقشون ويتحدثون، فكان ذلك مهما له في تكوينه⁽¹⁾.

بدأت رغبة «خير الدين» في التطلع نحو العلم والمعرفة منذ أن كان طفلاً، ثم قام برحلتين هامتين جعلتا منه فيما بعد قائداً من قادة الإصلاح في الجزائر، فالأولى كانت نحو قسنطينة في سنة 1916م، والثانية نحو جامع الزيتونة في سنة 1918م، وذلك من أجل أن ينمي ثقافته وتعلمه، فدرس سنتين في قسنطينة وانتهل منها بعض العلوم ثم اتجه بعدها إلى جامع الزيتونة التي قضى فيها «الشيخ خير الدين» سبع سنين من التعلم، ليتخرج منها بشهادة التطويح بعد اجتيازه للامتحان، وقد استفاد «خير الدين» من رحلاته العلمية، حيث حصل منها على أعلى الشهادات في ذلك الوقت من جامع الزيتونة، وتهيأ بذلك للإصلاح الديني والوطني معاً⁽²⁾.

تقلد «الشيخ خير الدين» عدة وظائف ومسؤوليات في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فقد عين عضواً مستشاراً في الاجتماع الثاني للجمعية سنة 1932م، وتولى مسؤولية جريدة البصائر منذ صدورها، كما عين عضواً في اللجنة التنفيذية بالمؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936م، وتولى تسيير جمعية «إعانة الفقراء» ببسكرة إلى جانب «الدكتور سعدان»⁽³⁾.

(1) محمد خير الدين، مذكرات الشيخ خير الدين، ج1، ط2، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2002، ص60

(2) نفس المصدر، ص ص 62-65.

(3) هلال عمار، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 273.

توفي «الشيخ محمد خير الدين» يوم الجمعة 26 جمادى الثانية 1414هـ / 10 ديسمبر 1993م بالجزائر العاصمة بعد مرض عضال ثم نقل جثمانه إلى بسكرة، وتم دفنه في 11 ديسمبر بعد صلاة العصر في روضة أسرته بمقبرة البخاري⁽¹⁾.

(2) - سيرته في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931 م برئاسة «الشيخ ابن باديس»⁽²⁾، وارتكز دورها على النشاط الثقافي والتعليمي⁽³⁾، ويعتبر «الشيخ محمد خير الدين» مصلح جزائري من بين الرجال الذين ساهموا في الحركة الإصلاحية في الجزائر، وكان له دور بارز في الجمعية، فهو من المؤسسين الأوائل لها، حيث حضر اجتماع الرواد مع «الشيخ ابن باديس» و«الشيخ البشير الإبراهيمي»... وغيرهم، وكانت أول مسؤولية كلف بها من طرف الجمعية هي الوعظ والإرشاد في منطقة فرفار وضواحيها، ومنذ ذلك الوقت تقلد عدة وظائف هامة⁽⁴⁾.

إن «الشيخ خير الدين» هو رائد من الرواد الأوائل، وعالم من علمائها المصلحين، وكان من أعمدة الحركة الإصلاحية في الجنوب، فأدى ذلك إلى متابعة الإدارة الفرنسية له، وذلك للحد من

(1) أحمد سحنون، « تأنيب شيعي العظيم الإمام محمد خير الدين »، مجلة الموافقات، العدد 3، الجزائر، 1994، ص 381.

(2) الشيخ عبد الحميد ابن باديس: هو عبد الحميد بن محمد بن المصطفى بن مكّي بن باديس، ولد في ليلة الجمعة 4 ديسمبر 1889م في مدينة قسنطينة بالشرق الجزائري، وتوفي ليلة الثلاثاء 16 أفريل 1940م بمدينة قسنطينة، وهي مركز نشاطه التربوي والإصلاحي والسياسي والصحفي. ينظر: رابح تركي، الشيخ عبد الحميد ابن باديس. رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص 160.

(3) البشير الإبراهيمي، آثار الإمام البشير الإبراهيمي (1954 - 1956)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 164-165.

(4) محمد خير الدين، المصدر السابق، ج1، ص 283.

نشاطه وعرقلته، فصدر أمر يقضي بنفيه، وأبلغه عميد الشرطة بيسكرة بذلك، ووضعه تحت الإقامة الجبرية بمجانة في دائرة برج بوعريريج، وقضى بها شهرين ليطلق سراحه بعد استجوابه، والتأكد من أنه يقوم بأعمال تربوية دينية لا علاقة لها بالسياسة أو بتهديد فرنسا⁽¹⁾، وعلى الرغم مما تعرض له «الشيخ خير الدين» من مضايقات ونفي إلا أنه واصل المسيرة، وزاد إصرارا على أداء رسالة الجمعية، لذلك فقد استدعاه «الشيخ ابن باديس» في سنة 1937م بعد التصدع الذي أصاب الجمعية وضواحيها، خاصة بعدما أغلق نادي الترقى ونادي بلكور بالعاصمة، كما تم غلق نادي شرشال في البلدية، وشلت حركة النوادي الأخرى في المنطقة الوسطى، ونظرا لحنكته صارت الجمعية تعتمد عليه كثيرا، لهذا أصبح واحدا من دعاة الإصلاح البارزين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين⁽²⁾، وقد أعطاها تعريفا شاملا في 1935م بقوله ما يلي: «وأول هذه المبادئ هي: إحياء الإسلام الصحيح بإحياء الكتاب والسنة ونشرهما بين الناس...، ونشر فضائلها وآدابها وإحياء التاريخ الإسلامي...»⁽³⁾.

عمل «الشيخ خير الدين» على استعمال الدين الصحيح بالكتاب والسنة لإصلاح النفس، كما أنه يركز على إصلاح المجتمع بنشر الفضائل والآداب، وكذلك على ضرورة تعليم الشباب، وإحياء تاريخهم وأجدادهم. فضلا عن ذلك كان للشيخ خير الدين دور مهم في السياسة حيث كان من المحضرين للمؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936م، وهو واحد من الذين ساهموا في أكبر تجمع سياسي عرفته الجزائر في عهد الاستعمار الفرنسي، فكان من الأوائل الذين وضعوا اللبنة الأولى لعقد ذلك المؤتمر بعد الدعوة التي وجهها له الشيخ ابن باديس.

(1) نفس المصدر، ص 214.

(2) البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين المنعقد بمركزها العام نادي الترقى، دار الكتب، الجزائر، 1982، ص 176.

(3) البشير الإبراهيمي، «المؤتمر الإسلامي الجزائري لا يبني مستقبل الأمة إلا الأمة»، جريدة البصائر، العدد 12، 1936، ص 2.

تجسد الدور الكبير للشيخ «خير الدين» أيضا في اللجان التي أحدثها المؤتمر في مساء يوم المؤتمر، حيث اجتمعوا وقرروا تأسيس لجنة مؤقتة تتكون من تسعة أعضاء، ثلاثة من النواب وثلاثة من العلماء، ونفس العدد من الشبان. ففي النواب «الدكتور بن جلول» رئيس المؤتمر و«الحامي عبد السلام بن طالب» و«الصيدلي عبد الرحمان بوكردنة»، وعن العلماء «الشيخ البشير الإبراهيمي» و«الشيخ الطيب العقبي» و«الشيخ محمد خير الدين»، أما عن الشبان «الأستاذ بن الحاج» و«المهندس عبد الرحمان بوشامة» و«السيد عبد الله العنابي»⁽¹⁾. وبعد الانتهاء من تشكيل اللجنة التنفيذية بدأ أعضائها العمل في نشاط كبير، كما أن «الشيخ خير الدين» من بين الذين سهروا على كتابة مطالب المؤتمر في كراس خاص، وقد تقرر إرسال وفد باريس لتقديم المطالب، كما ساهم مساهمة فعالة في الترويج لفكرة المؤتمر الإسلامي الجزائري الذي دعا إليه «الشيخ ابن باديس»⁽²⁾.

ركز «الشيخ خير الدين» على المدارس والمساجد في إصلاح المجتمع بالخطب التي كان يلقيها، والاجتماعات التي كان يجريها، كما أنه كان يقوم بتوعية الجزائريين بحقوقهم السياسية والوطنية. كما أنه لم يفصل بين الإصلاح الديني والإصلاح الوطني، فقد كان يعمل إلى جانب زملائه من العلماء إلى بلوغ الهدف الثاني للجمعية بعد تكوين جيل متكون بالثقافة العربية الإسلامية الذي هو الجهاد وتحرير البلاد، وفي هذا الصدد يقول «عبد الكريم بوصفصاف» ما يلي: «إن ابن باديس لم يفصل في حركته بين النظرية والتطبيق أو بعبارة أدق، لم يفرق بين العقيدة، وقد بدأ الإصلاح هينا، جعل الاستعمار يظن

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945)، ج3، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص89.

(2) عبد الكريم بوصفصاف، الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية في حركتي محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس (دراسة فكرية ثقافية - مقارنة)، ج1، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة تونس، 1997، ص229.

أن لا خطر فيه، ذلك أنه يتكلم عن الدين والأخلاق والعقيدة، وضرورة الإصلاح الديني والتضحية من أجل الآخرين والشورى، استعدادا لمرحلة الجهاد والكفاح»⁽¹⁾.

كان «الشيخ خير الدين» مؤمنا بالعمل الإصلاحي الديني والوطني، ويقول عن ذلك في مذكراته: «تبلورت فكرة الحرية والاستقلال في حرية الإصلاح الديني، والحفاظ على المقومات الشخصية الجزائرية، والسير بالنهضة الإصلاحية خطوة خطوة حتى بلوغ الغاية المنشودة، وقد تبنى هذا الاتجاه رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة الإمام ابن باديس»⁽²⁾.

اعتمد «الشيخ خير الدين» على الدين واللغة في تنشئة الأجيال مع متابعتهم جيدا، وفي ظل الظروف السياسية، ركز على ذلك حتى يكون الجيل الجديد متفتحا، لأن الاستعمار من أهدافه جعل الأمة تعيش في سبات عميق كي لا تطالب بحقوقها، وقد تتلاقى هذه الفكرة مع ما قاله «الشيخ ابن باديس» حسب مذكرة «الشيخ خير الدين»، حيث قال: «أذكر أنه ذات يوم عام 1933، التفت نفر من الشباب المتحمس حول الإمام ابن باديس بنادي الترقى وطلبوا منه أن يرفع صوته مدويا عاليا مطالبًا باستقلال الجزائر وحريتها، فقال لهم رحمهم الله جميعا، وهل رأيتم أيها الأبناء إنسانا يقيم سقفا دون أن يشيد الجدران؟، فقالوا كلا ولا يمكن، فقال لهم: إن من أراد أن يبني الأساس، ويقيم الجدران أولا ثم يشيد السقف على تلك الجدران، ومن أراد أن يبني شعبا ويقيم أمة فإنه يبدأ من الأساس لا من السقف»⁽³⁾.

(1) محمد خير الدين، المصدر السابق، ج 1، ص 272.

(2) نفس المصدر، ص 289.

(3) محمد الصالح رمضان، «جمعية العلماء ودورها العقائدي والاجتماعي والثقافي»، مجلة الثقافة، العدد 83، ص 360.

يؤكد أحد تلامذة «الشيخ خير الدين»، قائلا: « وقد اتفق روادها الأوائل المؤسسون على عامل إخفاء البعد السياسي الثوري، الذي يهدفون إليه وراء المقاصد الدينية والثقافية التي أعلنوها في قانونهم الأساسي، وعملوا لها جهازا بحكمة ورقية في دائرة القوانين الجاري لها العمل حينئذ، فأعمالهم تقوم أساسا على التربية والتعليم، ومحاربة الآفات الاجتماعية، وعلى إحياء قيمنا الإسلامية العربية، وقد اتخذوا لذلك شعارا واضحا هادفا في ثلاث كلمات، وهي: (الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا)، مما لا يصعب فهمه، وإدراك مغازيه على أحد»⁽¹⁾.

(3) - مواقف من مختلف الأحداث الوطنية أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها:

تولي نيابة الرئيس الشيخ «البشير الإبراهيمي» الذي استمر يشغل هذا المنصب إلى أن توفي الشيخ «ابن باديس» في مساء يوم الثلاثاء 8 ربيع الأول 1359 هـ / 16 أبريل 1940م أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم أنتخب الشيخ «البشير الإبراهيمي» رئيسا للجمعية بعده، وظل في هذا المنصب حتى توقفت الجمعية بعد قيام ثورة أول نوفمبر 1954م.

يعتبر بيان الشعب الجزائري من أهم الأحداث التي شهدتها الجزائر أثناء الحرب العالمية الثانية، وقد كانت هناك خطوات مهدت لذلك البيان التاريخي، ففي 8 نوفمبر 1942م جاء إنزال الحلفاء في الجزائر، ما مثل بداية آمال بالنسبة للجزائريين من أجل إقناع مختلف الأطراف الخارجية بحقهم في الحرية، ومن هنا بدأت الاتصالات السرية والعلنية، فقد اشترك أعضاء حزب الشعب الجزائري

(1) رابح تركي عمارة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931 - 1956) ورؤساؤها الثلاثة، ط 1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص ص 42 - 43.

والعلماء في التشاور مع فرحات عباس وغيره، وكانت المناقشات أيضا تدور حول شروط دخول الحرب إلى جانب الحلفاء⁽¹⁾.

و في ظل هذه الظروف رفضت الجمعية إعطاء رأيها بخصوص الحرب، كما رفضت الوقوف بجانب فرنسا في هذه الحرب، كي لا تحيد عن مبادئها، خاصة بعد وفاة «الشيخ ابن باديس» واعتقال «الشيخ البشير الإبراهيمي»، إلا أن «الشيخ خير الدين» كان من أولئك الذين دافعوا عن حرية الوطن، كما شاركه في الرأي «الشيخ العربي التبسي»، ورغم أن الجمعية معروف عنها ابتعادها عن الجانب السياسي، ولكنها كانت من السباقين للمشاركة في هذا الميدان، وقد قبلت دعوة «فرحات عباس» و«الدكتور ابن جلول» لانعقاد اجتماع سياسي تأسيسي، وكان يهدف إلى وضع مطالب الشعب الجزائري، والذي انبثق عنه في 10 فيفري 1943م إصدار «بيان الشعب الجزائري»، والذي اعتمد في كتابته على الوثائق المهمة للحركة الوطنية، وهي مطالب النخبة، وميثاق المؤتمر الإسلامي الجزائري، ومبادئ حزب الشعب الجزائري⁽²⁾.

كان «الشيخ خير الدين» من الذين ساهموا في ذلك البيان التاريخي إلى جانب ممثلين عن مختلف التيارات الوطنية. ويظهر هناك تفاهم في وجهات النظر بين مختلف التيارات الذين وقعوا على هذا البيان، ما يدل على الوعي الوطني في هذه الفترة، كما تطرق البيان لعدة مطالب هامة للجزائريين، ومنها ما يخص الجمعية، والتي دونها «الشيخ خير الدين» مع «الشيخ العربي التبسي» كالاقرار بالغة العربية لغة رسمية على قدم المساواة مع اللغة الفرنسية، وحرية التعليم أيضا ومجانته، مع حرية

(1) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 3، ص ص 205 – 206.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1995، ص 367.

الصحافة، وكذلك حرية العقيدة لجميع السكان، وتطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة على جميع الأديان، وهذه أهم مطالب الجمعية، والتي منحت للبيان قوة أكثر، كما أن البيان أساسا لحكم الجزائريين بلادهم دون تدخل الإدارة الفرنسية في شؤونهم⁽¹⁾.

لقد سلمت هذه الوثيقة في مارس 1943 م إلى الحاكم العام « بيروتون » (Peyrouton)، وقد تم قبولها على اعتبار « قاعدة الإصلاحات »، وقدمت إلى الممثلين الأنجلو أمريكيان، وطلبوا من الوفد تقديم خطة عمل للإصلاح، وعاد « فرحات عباس » ورفاقه وصاغوا خطة عمل أو ملحق للبيان، وقدموه إليهم في 26 ماي، وقدمت نسخة منه إلى « ديغول » في 10 جوان، وتناول الملحق نفس النقاط التي في البيان⁽²⁾.

استمر نشاط « الشيخ خير الدين » أثناء الحرب العالمية الثانية نظرا للجواب الذي أعطاه الفرنسيون حول البيان وملحقه، فقد اكتفى ديغول بالرد عليه عن طريق الإعلان عن إصلاحات 7 مارس 1944 م التي لم تأتي بالجديد للجزائريين، وهذا الأمر هو الذي دفع « فرحات عباس » بالتنسيق مع الوطنيين، لإنشاء حركة سياسية جديدة، وهي حركة « أحباب البيان والحرية » التي تأسست في 14 مارس 1944 م بمدينة سطيف، وكان « الشيخ خير الدين » من بين أعضائها في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وذلك للدفاع عن مطالب البيان السابقة⁽³⁾.

(1) مصطفى طلاس وبسام العسلي، الثورة الجزائرية، دار الشورى، بيروت، 1982، ص 73

(2) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 3، ص 213.

(3) الجليلي صاري ومحفوظ قداش، المقاومة السياسية (1900-1954). الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 78.

سعى قادة الحركة الوطنية بكل جهودهم للدفاع عن حقوق الجزائريين، ومحاولة إقناع كل الأطراف بضرورة تحقيقها لمصيرها، ولكن دون جدوى، فالجزائريون لم ينالوا شيئاً، بل بالعكس بعد أحداث 8 ماي 1945، واستشهاد أكثر من 45 ألف جزائري زاد الأمر سوءاً، وتوضحت الأمور أكثر بالنسبة للحركة الوطنية والشعب الجزائري معاً، ما أدى لإعادة التفكير مجدداً في طريقة تعاملهم المستقبلية مع الإدارة الفرنسية⁽¹⁾.

استمر نشاط الجمعية في مختلف أنحاء الجزائر في فترة الأربعينات من القرن العشرين، ولاسيما في 1948 م عندما قام «الشيخ خير الدين» برحلة علمية إلى عمالة وهران، ودشن بها المدارس، ونظم الشعب وألقى دروس الوعظ والإرشاد، كما توقف نشاط صحافة الجمعية خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية، وذلك بسبب تجميد نشاطها السياسي، واستمر بعد الحرب، وواصل «الشيخ خير الدين» نضاله الصحفي كباقي زملائه⁴.

كما كان للشيخ خير الدين مشاركة هامة في جبهة جديدة، حيث نشرت جريدة المنار في آخر شهر جوان 1951 م خبراً عن إنشاء لجنة تأسيسية لجبهة جزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، وكان البلاغ يحتوي على أعضاء التأسيس، ومنهم العلماء وحركة الانتصار للحرية الديمقراطية، والإتحاد الديمقراطي للبيان⁽²⁾.

الجزائري، ووقع عن العلماء «الشيخ العربي التبسي» و«الشيخ خير الدين»، وعن حزب الشعب الجزائري «أحمد مزغنة» و«مصطفى فروخي»، وتوج ذلك الإعلان بالاجتماع التأسيسي في 5 أوت

(1) البشير الإبراهيمي، «ذكرى 8 ماي»، جريدة البصائر، العدد 35، 1948، ص 1.

(2) أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 3، ص 385.

1951 في سينما دنيا زاد بالعاصمة، ودعا المجتمعون إلى رفع التدابير الخاصة عن رئيس حزب الشعب الجزائري «مصالي الحاج»، والذي بعث بدوره رسالة خاصة إلى الجبهة ونشرتها المنار في عددها السابع، وهو يشد على الجميع ويعلق آمالا كبيرة عليها⁽¹⁾.

اهتمت الجبهة بمشاكل الجزائر فكانت ترسل وفودا عن الجبهة للقيام بالتجمعات، وتكوين لجان مهمتها تقديم تقارير إلى اللجنة الإدارية للجبهة، كما أن مشاركة «الشيخ خير الدين» في الجبهة رغم قصر عمرها، كانت مهمة في نضاله الوطني الذي منح خلاله دعما قويا إلى جانب أبناء وطنه في مواجهة الاستعمار الفرنسي⁽²⁾، إلا أن هذه الجبهة فشلت بسبب رفض الحزب الشيوعي مبدأ المشاركة في الانتخابات، لأن قيادته قررت أن تشارك في الحملة الانتخابية، وذلك بقصد أن تعطي فرصة للشعب الجزائري لكي يسمع صوت الحزب، ويتعرف على مواقفه السياسية وحقيقة ما يجري في البلاد، وإبتداء من فيفري 1952 م، قررت جمعية العلماء تعيين «أحمد توفيق المدني» أمينا عاما⁽³⁾.

كما تميزت الفترة الممتدة من 1946 إلى غاية 1954 م بتطور نشاط جمعية العلماء وتركيزها على بناء المدارس لتعليم اللغة العربية وجمع المال لتوظيف الأساتذة وإرسال البعثات من الجزائر إلى المشرق العربي، وتحقيقا لهذا الهدف قامت الجمعية بإرسال رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي إلى القاهرة في سنة

(1) علي غنابزية، «علاقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بحزب الشعب الجزائري (1936-1954)»، مجلة المصادر، العدد 21، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، السداسي الأول 2010، ص 70.

(2) جريدة المنار، «بيان من الجبهة الجزائرية عن حوادث الأوراس»، العدد 8، 31 أوت 1951.

(3) بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص ص 269-270.

1952 م، لكي يقيم اتصالات ثقافية وسياسية مع الدول العربية والإسلامية في المشرق، ويعرف بالجزائر هناك، وكان يساعده في هذه المهمة النبيلة الشيخ «الفضيل الورتلاني»⁽¹⁾.

إن جمعية العلماء تعتبر من أكثر التنظيمات السياسية نجاحا بعد الحرب العالمية الثانية في الميدان الإعلامي، حيث قامت بنشر جريدة البصائر بانتظام حتى قيام ثورة التحرير، وساهمت بذلك في توعية الشعب الجزائري والتعبير عن آراء الفئة المثقفة في الحرية والاستقلال والتمسك بالمبادئ الثلاثة التي هي شعار الجمعية⁽²⁾.

اندلعت الثورة في 1 نوفمبر 1954 م، وكانت المنعطف الحاسم والأخير للحركة الوطنية وللشعب الجزائري بعد نضال وطني طويل، وكان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين دور كبير في الثورة، ومن بينهم «الشيخ خير الدين» الذي يعد أبرز قادة الجمعية⁽³⁾.

يعتبر «الشيخ خير الدين» من رواد جمعية العلماء، الذين ساهموا بكل جهودهم من أجل تحرير البلاد بشتى الوسائل على مدار سنوات عديدة مليئة بالصعوبات من قبل الإدارة الفرنسية، وقد كان يعمل في إطار الجمعية مركزا على أهدافها ومبادئها الأساسية.

4 - كتابات الشيخ محمد خير الدين:

ترك «الشيخ خير الدين» العديد من الآثار والكتابات الصحفية الهامة، فقد نشط مثله مثل باقي الكتاب المصلحين، وظهر ذلك من خلال دعمه وتأييده للصحافة الإصلاحية، وكانت البداية بمشاركته في شراء مطبعة بهدف إصدار جريدة الإصلاح ببسكرة، ويقول الشيخ عن هذا: « كان أول أعماله

(1) نفس المرجع، ص ص 268-269.

(2) بوحوش عمار، المرجع السابق، ص 269.

(3) محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصرة (1954-1962)، ج2، إتحاد الكتاب العرب، د. م، 1999، ص9.

ببسكرة السعي لشراء مطبعة بالاشتراك مع جماعة المصلحين، وذلك بهدف إصدار جريدة الإصلاح التي أدارها الشيخ الطيب العقي⁽¹⁾.

كتب «الشيخ خير الدين» أيضا في مجلة الشهاب وجريدة البصائر اللتان كانتا من أبرز مجلات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد رسم بحبره في هاتين المجلتين مقالات كثيرة، والتي تعالج مواضيع تدخل في إطار الحركة الإصلاحية، وضمن أهداف جمعية العلماء، وهي تدور حول التعليم العربي الإسلامي والتعليم الرسمي وقضية فصل الدين عن الدولة، كما أنه كتب حول الزوايا بالإضافة إلى مقالات أخرى كان يدافع فيها عن الجمعية. ولم تكن كتابات «الشيخ خير الدين» تقتصر على الإصلاح الديني فقط بل كانت تصب في اتجاهات كثيرة، ويقول في ذلك عبد الكريم بوصفصاف: «إن دور صحافة الجمعية لم يقتصر على نشر الإصلاح الديني فحسب بل كان من بين أهدافها الأساسية محاربة الطريقة الصوفية، والإدارة الفرنسية، والعمل على إحياء الشخصية الجزائرية وربطها بالوطن العربي الإسلامي، وإبراز معالم التاريخ الوطني من أقدم العصور حتى أيامها، كما كانت تقوم بدور المعلم والمرشد والمربي، بما تنشره من دروس وتوجيهات تربوية بين المسلمين الجزائريين»⁽²⁾.

إن معظم البلاغات التي كانت تنشرها جريدة البصائر، كانت تحمل توقيع وتضمن ما يخص بلاغات لجنة التعليم وما يقره المكتب الدائم للجمعية، وبلاغات تخص شؤون أخرى، فكانت تحمل توقيع باعتباره النائب الثاني لرئيس الجمعية، ونائب مدير معهد ابن باديس ورئيس لجنة التعليم⁽³⁾.

(1) محمد خير الدين، المصدر السابق، ج 1، ص 78.

(2) عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931-1945) - دراسة تاريخية

وإيديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص 142

أما عن مؤلفاته فقد خلف وراءه مكتبة كبيرة ومتنوعة بشتى الكتب القديمة والحديثة، وكل فن من فنون المعرفة، وقد قدمها هدية لمكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، حيث أصدر مذكراته في جزأين، الكتاب الأول: يشتمل على كل نشاط من صغره حتى قيام الثورة التحريرية، أما الكتاب الثاني يتحدث عن نشاطه من قيام الثورة التحريرية إلى غاية الاستقلال، كما ترك أثرا ماديا هو مسجد السنة ببسكرة⁽¹⁾.

كانت كتاباته وخطاباته هادفة ويظهر ذلك من المقالات المتنوعة والقيمة التي تدعو إلى فتح المدارس وتعليم الجزائريين فهو كباقي العلماء وكل الجزائريين يرفضون المدرسة الفرنسية⁽²⁾.

حظي «الشيخ محمد خير الدين» بمكانة هامة في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومن رئيسها «الشيخ ابن باديس» الذي منحه ثقة كبيرة جعلت منه رمزا حقيقيا من رموز الإصلاح، ويفضل ذكائه، تمكن من تولي عدة مهام في الجمعية، وتسييرها بشكل ناجح، إذ أن في كل أمة يحمل علماؤها ومثقفوها على عاتقهم مهمة تعليم الناس، و«الشيخ خير الدين» من بين الأشخاص الذين ساهموا مساهمة فعالة في تنوير العقول بالجزائر في فترة الاستعمار الفرنسي.

كان «الشيخ خير الدين» يركز في نضاله على الإصلاح الديني والوطني معا، مستندا في ذلك على بعض الأحداث السياسية الهامة من أجل تحقيق مطالب الجمعية والشعب الجزائري، مركزا في ذلك على الدفاع عن الهوية الجزائرية بمختلف الوسائل، عن طريق تأسيس المدارس والمساجد من أجل إصلاح المجتمع، كما أنه كان يقوم بتوعية الجزائريين، وقد ساعده في ذلك مشاركته في المؤتمر الإسلامي

(1) عبد الكريم بوصفصاف، الشيخ محمد خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر 1902-1993، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، جامعة قسنطينة، 2005-2006 م، ص 51.

(2) محمد الصالح رمضان، المرجع السابق، ص 360.

الجزائري 1936م، وفي بيان الشعب الجزائري 1943 م، بالإضافة إلى أنه أسس إلى جانب قادة سياسيين جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها 1951 م، وتواصل نشاطه إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية.

قائمة المصادر والمراجع

1. الإبراهيمي (البشير)، « المؤتمر الإسلامي الجزائري لا يبني مستقبل الأمة إلا الأمة »، جريدة البصائر، العدد 12، 1936.
2. الإبراهيمي (البشير)، آثار الإمام البشير الإبراهيمي (1954 - 1956)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
3. الإبراهيمي (البشير)، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين المنعقد بمركزها العام نادي الترقى، دار الكتب، الجزائر، 1982.
4. الإبراهيمي (البشير)، « ذكرى 8 ماي »، جريدة البصائر، العدد 35، 1948.
5. بوصفصاف (عبد الكريم)، الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية في حركتي محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس (دراسة فكرية ثقافية - مقارنة)، ج1، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة تونس، 1997.
6. بوصفصاف (عبد الكريم)، الشيخ محمد خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر 1902 - 1993، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، جامعة قسنطينة، 2005 - 2006 م.
7. بوصفصاف (عبد الكريم)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931 - 1945) - دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996.
8. تركي (رابح)، الشيخ عبد الحميد ابن باديس. رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت.
9. جريدة المنار، « بيان من الجبهة الجزائرية عن حوادث الأوراس »، العدد 8، 31 أوت 1951.
10. خير الدين (محمد)، مذكرات الشيخ خير الدين، ج1، ط2، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2002.
11. رمضان (محمد الصالح)، « جمعية العلماء ودورها العقائدي والاجتماعي والثقافي »، مجلة الثقافة، العدد 83.
12. سحنون (أحمد)، « تأنيب شيخي العظيم الإمام محمد خير الدين »، مجلة الموافقات، العدد 3، الجزائر، 1994.

13. سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية (1930- 1945)، ج3، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
14. صاري (الجيلالي) وقداش (محموظ)، المقاومة السياسية (1900-1954). الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة: عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.
15. عمار (بوحوش)، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
16. عمار (هلال)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
17. عمامرة (رابح تركي)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931 - 1956) ورؤساؤها الثلاثة، ط1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
18. غنابزية علي، « علاقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بحزب الشعب الجزائري (1936-1954)»، مجلة المصادر، العدد 21، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، السداسي الأول 2010.
19. محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصرة (1954-1962)، ج2، إتحاد الكتاب العرب، د. م، 1999.
20. المدني (أحمد توفيق)، حياة كفاح، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1995.
21. مصطفى (طلاس) والعسلي (بسام)، الثورة الجزائرية، دار الشورى، بيروت، 1982.

